من الأدب الروسي :

شجرة عيد الميـــلاد

للكاتب القصصي تيودور دوستويفسكي

بقـــلم الأديب محمد فتحي عبد الوهاب

أنا كاتب قصصي ، وأعتقد أنني كتبت هـذه القصة . أقول « أعتقد » مع علمي التام بأنها من إبداع قلمي. ولكني مع ذلك على يقين بأنها قد حدثت فعلا في مكان ما في زمن ما ، وقعت في بلدة كبيرة ذات ليلة من ليالي عيد الميلاد الشديدة القر

إني أتخيل غلاماً ، صبياً صغيراً ، له من العمر ست سنوات أو أقل . استيقظ من مرقده في قبو رطب بارد ، وكان يرتدي جلباباً قصيراً ويرتجف من لفحات القر ، وتخرج من فمه مع زفيره سحابة بيضاء من البخار وهو قابع على صندوق في ركن من أركان القبو ، يراقبها تتصاعد في الجو مبتعدة عنه .

كان يشعر بالجوع يلوي أحشاءه . وكم ذهب المديد من المرات في صباح ذلك اليوم إلى الفراش العاري الذي ترقد عليه والدته العليلة ، ذلك الفراش ذو الحشية الرقيقة المهلهلة والوسادة أشبه ما تكون بالأسمال .

ما الذي أوجدها هنا ؟ لعلها قدمت مع ولدها من بلدة أخرى ثم دهمها المرض فجأة . كانت صاحبة الدار قد قبض عليها منذ يومين وأودعت السجن . ورحل معظم السكان لاقتراب العيد ولم يبق في الدار إلا من ثمل دون أن ينتظر عيد الميلاد ، وعجوز في سن الثمانين رقدت في أحد الأركان تتأوه وتتوجع من آلام (الروماتزم) وتعنف الصبي وتبـــدي تذمرها منه فيخشى الاقتراب منها .

كان في وسعه أن يحصل على ما يروي ظمأه من الغرفة المجاورة ، ولكنه لا يجد كسرة من الخبز يسد بها رمقه وكم قاسى من ذلك الجوع الذي كان يدفعه إلى محاولة إيقاظ والدته عشرات المرات . وشعر أخيراً بالخوف ينتابه الخوف من الظلام . كان الليل قد أرخى سدوله ، ولم يكن عنده ما يستضيء به ، ولمس وجه والدته فلم تبد أي حراك . كانت باردة برودة الحائط . فجعل يخاطب نفسه قائلا « إن الجو بلا شك بارد جداً » ووقف لحظة ، وبدون أن يشعر ، وضع يده على كتفي والدته ، ثم نفخ في أصابعه يدفئها ، ثم جعل يبحث عن قلنسوته فوق الفراش ، وأخيراً خرج من القبو .

لقد كان يود أن يخرج مبكراً ، لولا فزعه من الكلب الكبير الرابض عند باب الجيران . ونظر ، فلم ير للكلب أثراً ، فتابع سيره لا يلوي على شيء .

فليرحمنا الله . يا لها من بلدة ! إنه لم ير مثلها من قبل . حقاً إنها لم تكن كبلدته . كان الليل حالك الظلام ، ولم يكن في الطريق سوى مصباح واحد . وتوارى الناس في ديارهم ، فلم يسمع إلا نباح الكلاب ، مئات بل آلاف منها تنبح وتعوي طوال الليل . ولكنه كان في بلدته يستشعر الدفء ويجد ما يقتات به . أما هنا ... آه لو استطاع أن يجد ما يأكله . يا لها من جلبة وضوضاء ! ويا لها من إضاءة ! وياهؤلاء القوم وتلك المركبات ، وهذا الصقيع ! كان البخار يتصاعد في سحب من أفواه الجياد ، وكانت حوافرها تصطدم في سيرها بالأحجار المغطاة بالثلوج المتراكمة . كم هو في حاجة إلى ما يسد غائلة جوعه ... ولم يشعر الآن بالتعاسة . واقترب منه شرطي فتنكب طريقه وابتعد عنه .

ها هو ذا طريق آخر ، وما أوسعه من طريق . كان الناس غادين رائحين ، يصيحون ويهرولون ويندفعون والضوء ! ذلك الضوء ! ولكن .. ماهذا ؟ إنها نافذة زجاجية كبيرة . ونظر خلالها فرأى شجرة طويلة من أشجار عيد الميلاد ممتدة حتى السقف ، وقد تدلت منها مصابيح وأوراق مذهبة وتفاح ودمى صغيرة وجياد . وكان الأطفال في ملابسهم القشيبة يلهون ويمرحون ، ويأكلون ويشربون . ثم ابتدأت فتاة ترقص مع أحد الصبية . وانسابت إلى أذنيه نغمات الموسيقى . ونظر وتعجب ثم ضحك . كانت أطرافه تؤلمه من البرد وأصابعه حمراء متصلبة ، توجعه إذا ما حركها . وعندما تذكر ذلك ، طفق يبكي ، ثم عدا

حتى انتهى به الطاف إلى نافذة أخرى شاهد من ورائها شجرة ثانية ، ومنضدة حافلة بمختلف الحلوى وقد جلس حولها ثلاث سيدات يوزعن الحلوى على كل من يقصدنهن . وظل باب الدار مفتوحاً يدخله الكثيرون من الرجال والسيدات . وزحف الصبي ، ودفع الباب ، ثم داف إلى الغرفة . لقد ساحوا فيه ودفعوا به إلى الخارج . وأقبلت عليه سيدة تهرول ودست فى يده قطعة من النقود ، ثم فتحت له الباب ودفعته دفعاً إلى الطريق .

وسقطت قطعة النقود منه ، ورن رنينها على الأرض . ولكنه لم يستطع قبض أصابعه الحمراء لالتقاطها . وجرى مبتعداً ، وطفق يعدو إلى حيث لا يعلم . وكاد يبكي مرة أخرى . كان خائفاً مرتعباً ، واستمر يعدو وينفخ فى أصابعه ، باكياً ، وحيداً جزعاً . ولكن ... ما الخبر ؟ كان الناس محتشدين أمام زجاج نافذه وقد ظهرت على محياهم علامات الإعجاب لرؤيتهم ثلاث دمى صغيرة تتحرك وكأنما قد دبت فيها الحياة . كانت الأولى تمثل رجلا عجوزاً جالساً يعزف على كمان كبير ، والدميتان الأخرتان واقفتان تعزفان على كمانين صغيرين وتحنيان رأسيهما ثم تحيي كل منهما الأخرى . وكانت شفتاهما تتحركان كما لو كانتا تتحدثان .

ظن الصبي بادىء الأمر أنها حية . ولكنه عندما استبان له أنها ليست إلا دمى ، ضحك وتهلل . أنه لم يشاهد مثلها من قبل ، ولم تكن تخطر له ببال . وألهاه ذلك النظر عن شعور البكاء الذى انتابه . ثم شعر بمن يجذبه من ردائه ، فالتفت خلفه فرأى غلاماً يلطمه على أم رأسه ، ثم اختطف منه قلنسوته ، ثم ألقاه على الأرض ، فسقط الصبي مرتعباً ، ولكنه سرعان ماهب واقفا وعدا مبتعداً عن النافذه وقد وجف قلبه فزعا ، وطفق يعدو دون أن يدرى إلى أين يذهب ، حتى وصل إلى باب ساحة ، فدلف إليها وتهالك على كومة من الأخشاب وهو يخاطب نفسه « إنهم لن يبحثوا عنى هنا ، فى ذلك الظلام المدلهم » .

وجلس منطوياً على نفسه ، مبهور الأنفاس . ثم شعر فجأة بالسعادة تغمره ، وزال الألم من أصابعه واستشعر الدفء وكأنه قرب موقد . فارتجف وصاح « عجباً ! لابد أنى أحلم ! كم هو لذيذ أن يقام المرء هنا . سأرقد قليلا ثم أعود بعد ذلك لمشاهدة الدمى » وابتسم وهو يفكر فيها ، وقد تمثلت فى خاطره كأنها مخلوقات حية . وسمع صوتاً حنوناً يهتف فى أذنه قائلا « تعال إلى شجرتى . شجرة عيد الميلاد أيها الطفل » .

وظن الصبي أنها والدته هى التى تهمس فى أذنه . ولكن . لا . إنها لم تكن والدته . من الذى يناديه ؟ ولم يجرؤ على النظر إليها عندما أنحنت فوقه تحتضنه فى الظلام . ومد يده إليها . وفجأة ... يا إلهى . ما هذا الضوء الباهر ؟ وما أجمل هذه الشجرة ! أين هو الآن ؟ كان فى مكان جميل كثير الدمى . ولكن ... كلا إنها لم تكن دمى ، بل كانوا أولاداً نضرين فى حلل قشيبة وقد تهللت وجوههم بشراً . وأقبلوا عليه من كل صوب يحيطون به ويقبلونه . وشاهد والدته تنظر إليه وقد أشرقت على شفتيها ابتسامة فياضة ، فصاح قائلا « أماه ، أماه ، ما أجمل أن يعيش المرء هنا » وجعل يقبل الأولاد ، ووود أن يخبرهم عن الدمى التى شاهدها . وجعل يسألهم « من أنتم ؟ من أنتم ؟ » وهو يشاركهم الضحك معجباً بهم . فأجابوه « هذه شجرة عيد ميلاد المسيح ، شجرته الخاصة ، وهبها للأطفال الذين لا يملكون مثلها » .

كانوا أطفالا حالهم مثل حاله . فمنهم من تجمد برداً فى السلال التى تركهم ذووهم فيها على عتبات الديار . ومنهم من لقى حتفه خنقاً خشية العار ، ومنهم من مات على ثدى والدته الجائعة والآخرون دهمهم الموت من فساد هواء المكان الذى كانوا يعيشون فيه . ومع ذلك .. كانوا كلهم مجتمعين هنا كالملائكة حول المسيح . وكان المسيح يتوسطهم ويمد يده إليهم يبارك بهم وأمهاتهم قد فاضت دموعهن . وكانت كل من تعرفت بولدها تندفع إليه فى شوق تقبله فيمسح عبراتها بيديه الصغيرتين ، متوسلا إليها ألا تبكى . كانت تغمرهم السعادة .. السعادة الحقة .

وانبثق نور الفجر ، عندما وجد رجال جثة الصبي متجمده الأطراف من شده القر ، راقدة على كومة الأخشاب .

وبحثوا عن والدته . كانت قد سبقته إلى العالم الآخر . لقد تقابلا أمام الله فى السماء .

لست أدرى لماذا كتبت هذه القصة التى لا تجرى فى أسلوبها مع مذكرات عادية أو مؤلفات كاتب . ولكن كل ما أدريه أنى ما زلت على يقين بأنها ليست وليدة الخيال ، وإنما وقعت فعلا ، وإنه قد حدث ما حدث فى ذلك القبر وكومة الأخشاب هناك .

أما عن شجرة المسيح ، فلا أستطيع أن أجزم هل هي حقاً فى عالم الوجود أم أنها من نسيج خيالى .

(الإسكندرية) محمد فتحى عبد الوهاب

مصلحة سكك حديد الحكومة المصرية

تسيير عربة ديزل درجة أولى وثانية بين الاسكندرية ومرسى مطروح

بتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه اعتباراً من يوم الخميس ١٩ أغسطس سنة ١٩٤٨ وبناء على رغبة مصلحة السياحة ، تقرر تسيير عربة ديزل درجة أولى وثانية بين الاسكندرية ومرسى مطروح فتغادر محطة الاسكندرية كل يوم خميس وأحد فى الساعة الثامنة صباحاً وتصل مرسى مطروح فى الساعة ١٢ر٥٠ بعد الظهر ، ثم تعود من مرسى مطروح كل يوم جمعة فى الساعة الثانية بعد الظهر وتصل الاسكندرية فى الساعة ٦ر٥٠ مساء وكل يوم اثنين فى الساعة ٧ر٢٠ صباحاً وتصل الاسكندرية فى الساعة ١٢ر١٠ بعد الظهر.

لا تقف هذه العربة إلا بمحطة سيدى جابر فى الذهاب والأياب .

مطبعة الرسالة